ثورة بروكوبيوس في القسطنطينية

٣٦٥ -٣٦٦م وآثارها على مصر*

د. ياسر مصطفي عبد الوهاب

جامعة كفر الشيخ- جمهورية مصر العربية

تعرضت الإمبراطورية مع مطلع العقد السابع من القرن الرابع الميلادي لأحداث مهمة أسفرت في النهاية عن تغيرات سياسية ودينية عديدة، خاصة مع اعتلاء الإمبراطور جوليان Julian العرش الإمبراطوري في عام ٣٦١م[١] فقد كانت الإمبراطورية تعاني من نزاعات سياسية أخذت مكاناً واضحاً لها وراء الجدل الديني فيما عقد من مجامع مسكونية، خاصة مع ظهور الأريوسية وتمسك المصريين بالعقيدة التي وضعها أساقفة مجمع نيقية عام ٣٢٥م، فيما يعرف باسم العقيدة النيقية، وكان على كنيسة الإسكندرية في شخص أسقفها أثناسيوس Athanasius مهمة قيادة

العالم المسيحي[٢] وقد حاول الإمبراطور جوليان حل تلك المشاكل الدينية في خلال فترة حكمه، ولكن لم يحقق النجاح المطلوب في ذلك الأمر.[٣]

---

* ألقى هذا البحث في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ مصر "الكتابات التاريخية، والكنسية، والوثائقية، والشهادات الأثرية –التدوين التاريخي في مصر" بكلية الاداب – جامعة عين شمس فى الفترة من ٥–٧ مايو ٢٠١٥م.

[١] توفي الإمبراطور قنسطنطيوس Contantius في ٣ نوفمبر من عام٣٦١م، وتولى العرش ابن عمه جوليان، ورغم الخلاف الذي نشأ بينه وبين الإمبراطور الراحل قبيل وفاته، إلا أن جوليان أمر بنقل جثمان قنسطنطيوس إلى العاصمة القسطنطينية بكل احترام، فوق عربة إمبراطورية تجرها الخيول لتكون جنازة ملائمة لإمبراطور بيزنطي. انظر:

Wright, W.C., trans *The Works of the Emperor Julian*, 3vols, (London, 1923), vol.2, p. 289; Zosimous, New History, tr.by Green and Chaplin, (London, 1814), p.75.

[٢] دارت الخلافات الدينية حول طبيعة السيد المسيح، وذلك بظهور ما يعرف بالمذهب الأريوسي على يد أحد قساوسة كنيسة الإسكندرية وهو أريوس Arius الذي أعلن إنكاره لألوهية السيد المسيح مقترحاً بأنه مخلوق بشري، وانتشر ما نادى به إلى داخل الإمبراطورية البيزنطية، لتتصدى كنيسة الإسكندرية ورجالها لآراء أريوس، ومن ثم أخذت تلك المشكلة مكانها في أولى المجامع الدينية الكبرى، والذي عقد تحت رعاية الإمبراطور قنسطنطين الكبير Constaninous the great في مدينة نيقية Nicea بآسيا الصغرى، وذلك في عام ٣٢٥م، وتولى أمر التصدي لأريوس ومؤيديه في المجمع رجل دين آخر من الإسكندرية هو أثناسيوس وكان آنذاك في مقتبل العمر، إذ أعلن أن ما يذكره أريوس بدعة، وعلى هذا قرر المجمع وضع صيغة عرفت بقانون الإيمان النيقي، وتقرر رفض ما ذكره

ومن الناحية العسكرية ظل الخطر الفارسي كامناً في شرق الإمبراطورية، وعندما قرر جوليان مواجهته، دفع حياته ثمنا لذلك في حملته الأخيرة ضدهم، وذلك في ٢٦ يونيو ٣٦٣م[٤] لتتجدد تلك الأخطار مرة أخرى، بل زاد عليها مشكلة ازدياد الطامعين في العرش الإمبراطوري، وعلى الرغم من نجاح قادة الجيش في تنصيب جوفيان Jovianus إمبراطوراً بعد وفاة جوليان

أريوس وإنزال قرار الحرمان على أريوس، واعتبار حركته هرطقة، وحينما أصبح أثناسيوس بطريرك على كنيسة الإسكندرية في عام ٣٢٨م، قدر له أن يظل ما يقرب من نصف قرن من الزمان حارسا أمينا على مبادىء الإيمان النيقي، ونتيجة لذلك تعرض للنفي خارج البلاد أكثر من مرة، ومن ثم أصبح يطلق على غالبية المصريين وهم المؤيدون له اسم النيقيين، وذلك في مواجهة ما عرفوا بالأريوسيين، الذين أخذوا يتقربون من أباطرة بيزنطة في محاولات مستميتة لفرض سيادتهم على العالم المسيحي. انظر:

Sozomen, *Ecclesiacal History*, tr.Cherster D. Hartrantft, in N.P.N.F., 2nd ser, vol.2, (Massachusetts, 1994), I, 17, p. 253; Socrates, *Ecclesiacal* History, Revised, with Notes, by A.C.Zenos, in N.P.N.F., 2nd ser (Massachusetts, 1994), I, 7-8, pp. 6-8.

ايضا: رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة " قيصر والمسيح" ج٢، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٨٩.

[٣] عرف عن جوليان محاولته إحياء الوثنية من جديد، لذلك أطلق عليه المرتد Apostate، ولما كان يميل للفلسفة الوثنية وجدناه يتبع في معاملته للمسيحيين أسلوبا أطلق عليه المؤرخ الكنسي سوزمين "الاضطهاد النبيل"، فسمح للأساقفة الذين كان قسطنطيوس قد نفاهم، وعلي رأسهم أثناسيوس بالعودة ثانية إلى ديارهم، ولكن– وحسبما يشير سوزمين– عندما شعر بازدياد تحول الوثنيين إلى المسيحية، تراجع عن سياسته وأصدر قرارا بإعادة نفي الأساقفة النيقيين مرة أخرى ومنهم أثناسيوس، الذي تعرض بذلك إلى النفي الرابع في حياته وذلك في أكتوبر عام ٣٦٢م، وهو ما اعتبره الأريوسيين انتصارا لهم على النيقيين، لتظل المشكلة الدينية قائمة في العالم المسيحي. انظر:

Athanasius, *Historia Acephala.in* N.P.N.F., 2nd ser, vol.4, VI, 10; Sozomen, *Eccl.Hist*, V, 4, p. 328.

لمزيد من التفاصيل، انظر:

رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢، ص ٣١٩–٣٣٤.

[٤] كان جوليان قد أدرك أن الفرس أصبح لهم اليد العليا في بلاد ما بين النهرين، لذلك قرر قيادة حملة عسكرية ضدهم خرجت في مارس عام ٣٦٣م، ونجح في عبور نهر الفرات، ورغم كثرة المواجهات التي تمت بينه وبين الفرس، إلا أن الحملة لم تحقق النتائج المرجوة منها في النهاية، بعد مقتل جوليان بالقرب من مكان يسمي تومارا Tummara، وكانت كل ما حققته تلك الحملة معاهدة مذلة عقدها جوفيان خليفة جوليان، تنازلت فيها الإمبراطورية عن مدينتي سنجار ونصيبين للفرس، وهما أهم نقاط الدفاع على حدود الإمبراطورية ضد الخطر الفارسي. انظر:

Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, ed. and trans J. C. Rolfe, 3 vols., (London, 1935-39), vol.2, XXV; Socrates, *Eccl. Hist*, III, 22, p. 90; Sozomen, *Eccl. Hist*, VI, 1, p. 345.

وعن مقتل الإمبراطور جوليان انظر:

رأفت عبد الحميد: مصرع جوليان: الفيلسوف الإمبراطور، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، المجلد الرابع ٢٠٠٤–٢٠٠٥م، ص ١٣.

مباشراً [٥] فإن الأخطار ما لبثت أن ظهرت بعد أن تناقلت الأخبار بادعاء أحد قادة الجيش ويدعي بروكوبيوس Procopius أنه الأحق بخلافة الإمبراطور جوليان على العرش الإمبراطوري[٦]

كان بروكوبيوس "مثل الوحش الذي ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض على فريسته خاصة وأن مصر أهم ولايات الإمبراطورية كانت تتلهف إلى التغيير"[٧] بهذه الكلمات وصف المؤرخ الوثني أميانوس ماركيللينوس (٣٣٠-٣٧٨م) Ammianus Marcellinus ثورة بروكوبيوس في القسطنطينية، والتي جرت أحداثها بين عامي ٣٦٥-٣٦٦م وكان لها آثارها على مصر، تلك الثورة التي أصابت الإمبراطور فالنز بالهلع والفزع كما ذكر المؤرخ الكنسي سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) Socrates والذي ولد في القسطنطينية بعد تلك الثورة بأربعة عشرة عاماً [٨]، في حين يصف المؤرخ الوثني الآخر زوزيموس Zosimous الوضع قائلا: "عندما كان فالنز يتأهب للاتجاه نحو الشرق لمحاربة الفرس، اندلعت ثورة، فأصبحت الأخطار الداخلية أشد وطأة من خطر العدو الفارسي الخارجي البعيد"[٩].

وعلى الرغم من أن تلك الثورة ورد الحديث عنها في العديد من الكتابات التاريخية والكنسية ضمن مصادر التاريخ الوسيط، فإن ما كتب عنها في الدراسات الحديثة مثل كتابات روشيل سني *Rochelle Snee* و نويل لينيسكي *Noel Lenski* وريموند فان *Van Raymond*، قد تناولت بعض الإشارات عن ثورة بروكوبيوس ضمن حديثها عن الثورات العديدة التي اندلعت داخل القسطنطينية في العصر الوسيط[١٠]، وهو ما يعد قليلا عن تلك الثورة

---

[٥] في فجر ٢٧يونيو ٣٦٣م، وعقب مقتل جوليان اجتمع قادة الجيش لاختيار خليفة للإمبراطور جوليان، في البداية اقترحوا اسم سالوتيوس سكوندس Salutius Secondus- أكبر ولاة الشرق سنا – ولكن سالوتيوس رفض هذا الشرف تحت ادعاء اعتلال صحته، وتقدم العمر به، ليختاروا جوفيان الذي كان يشغل قائد الحرس الإمبراطوري، لمنصب الإمبراطور. انظر:

Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXV, 5, 1, p. 517; Socrates, *Eccl. Hist*, III, 22, p. 91; Sozomen, *Eccl. Hist*, VI, 3, p. 347.

[6] Philostorgius, *Church History*, Translated by Philip R. Amidon. Atlanta: Society of Biblical Literature, 2007, 9. 5.

[7] Ammianus Marcellinous, *Res Gesta*, XXVI, 6.10, p. 603.

[8] Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 3, p. 97.

[9] Zosimous, *New History*, tr. by Green and Chaplin, (London, 1814), IV, p. 95.

[10] Rochelle Snee, "*Valens' Recall of the Nicene Exiles and Anti-Arian Propaganda", Greek, Roman and Byzantine Studies* 26. 4 (1985) pp. 395 – 419; Noel Lenski, *Failure of Empire. Valens and the Roman State in the Fourth Century A.D*. (London, 2002), pp.

التي تميزت بكثرة أحداثها و تتابعها، وتأثيرها المباشر في مصر، كون الأخيرة كانت معقد آمال فالنز وبروكوبيوس – المتصارعين على العرش البيزنطي – واللذين كانا يسعيان لضمان السيطرة عليها قبل صدامهما معا، ليتأكد كل طرف منهما أن أقدامه قد رسخت على عرش القسطنطينية، وذلك لإدراك المتنافسين أن مصر مخزن القمح الرئيس للقسطنطينية، فضلاً عن ثقلها السياسي والديني في الإمبراطورية، ومن ثم كان من الضروري إلقاء المزيد من الدراسة والتحليل على ثورة بروكوبيوس وآثارها على مصر.

ولد بروكوبيوس في إقليم قليقيا Cilicia عام ٣٢٦م، من عائلة عريقة كان لها سمعتها كإحدى الأسر المحبة للحياة العسكرية، إذ كان ابنا لأحد القادة العسكريين، وشقيقاً لباسيلينا Basilina أم الإمبراطور جوليان[١١]، وساعده ذلك على التدرج في المناصب حتى صار أحد القواد البارزين ضمن قوات الإمبراطور جوليان في حملته الأخيرة على بلاد الفرس عام ٣٦٣م[١٢]

أما عن دعاوي بروكوبيوس بخلافة جوليان على العرش، فقد اختلف حولها المؤرخون ففي الوقت الذي نجد المؤرخ زوزيموس يرى في طلب جوليان من بروكبيوس بأن يرتدي العباءة الإمبراطورية أمامه إشارة على اختياره ليخلفه في الحكم[١٣] فإن أميانوس ماركيللينوس أكثر وضوحاً في هذا الأمر بقوله: " إن جوليان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قد أعلن عن رغبته في أن يصبح بروكوبيوس خليفته على رأس الدولة quem Iulino perempto veluti dignum imperio paucis militibus nominatum"[١٤] وعندما انتشرت تلك الأقاويل عن بروكوبيوس وادعاءاته، أمر الإمبراطور جوفيان بالقبض عليه، وهو ما حدث بالفعل، وينفرد

88–101; Raymond Van, *The Roman Revolution of Constantine*, (Cambridge University Press, 2007), pp.207-208.

[١١] والده هو جوليوس جوليانوس Julius Julianus الذي كان مساندا لليكينيوس Licinus في صراعه ضد الإمبراطور قنسطنطين الكبير على العرش الإمبراطوري، في بداية العقد الثالث من القرن الرابع، وعقب سقوط الأول، وانتصار قنسطنطين عليه، وانفراده بالعرش الإمبراطوري عام ٣٢٣م، انضم جوليوس إلى قنسطنطين، وأصبح من المقربين منه، وأنجب بروكوبيوس، وأيضا باسيلينا Basilina التي تزوجت من جوليوس قنسطنطيوس Constantius Julius شقيق الإمبراطور قنسطنطين الكبير، التي أنجبت الإمبراطور جوليان عام ٣٣١م، ومن ثم يعد بروكوبيوس خالاً للإمبراطور جوليان، ويكبره بخمس سنوات. انظر:

Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXV, 6, 1, p. 597.

[12] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 2, p. 597.

لمزيد من التفاصيل عن تلك الحملة، انظر: صلاح محمد ضبيع: حملة الإمبراطور جوليان على بلاد فارس عام ٣٦٣م، مجلة كلية الاداب–جامعة حلوان، العدد ١٣–١٤، ٢٠٠٣م، ص ٦٨١ –٠٧٣٦

[13] Zosimous, *New* History, IV, p. 95.

[14] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6. 3, p. 598.

زوزيموس بتفاصيل لقاء جوفيان مع بروكوبيوس، وكيف أن الأخير قام بتسليم العباءة الإمبراطورية – التي كان محتفظاً بها من قبل جوليان– إلى الإمبراطور جوفيان، راجياً إياه بإعفائه من العمل العسكري، وأن يسمح له بالذهاب برفقة أسرته لتمضية ما تبقي من عمره بمدينة قيسارية بإقليم كبادوكيا Cappadocia حيث يمتلك إحدى المزارع هناك، وهو ما وافق عليه الإمبراطور جوفيان[١٥].

ما لبثت أن تغيرت الأحوال بوفاة الإمبراطور جوفيان بعد ثمانية شهور فقط من توليه العرش الإمبراطوري، وذلك في ١٧ فبراير ٣٦٤م[١٦] ليتم عقب ذلك إعلان فالنتينيان Valentinianus إمبراطوراً على غرب الإمبراطورية، ومقيماً في مدينة ميلانو، بينما شاركه في الحكم أخوه فالنز Valens إمبراطوراً على الشرق ومقيماً في مدينة القسطنطينية [١٧]، وحسبما ينفرد زوزيموس أنه حدث أن توارد إلى أسماع فالنز أن بروكوبيوس جدد دعاويه في أحقيته في العرش الإمبراطوري فأرسل إليه بعض الجنود للقبض عليه في مقر إقامته في قيسارية، وعندما اقتحم الجنود منزل بروكوبيوس، أظهر لهم الأخير استسلامه، ثم ما لبث أن غافلهم وهرب هو وأسرته خارج المدينة [١٨] وحتى هذه اللحظة لم تشر أي من المصادر سواء التاريخية أو الكنسية إلى أنّ بروكوبيوس أعلن الثورة أو تنصيب نفسه إمبراطوراً، ولكن كانت للظروف السياسية والدينية التي يمر بها العالم آنذاك رأي آخر، وباتت هي المحرك الرئيس للأحداث بعد ذلك.

كانت أحوال شرق الإمبراطورية وخاصة مصر، كما أشار الي ذلك المؤرخ ثيودريت (٣٣٣–٤٥٨م) Theodoret تتميز بالهدوء في ظل سياسة التسامح الديني التي أبداها الإمبراطور جوفيان أثناء حكمه تجاه المصريين [١٩] ولكن عقب وفاة جوفيان وجدنا الإمبراطور فالنتينيان والذي عرف عنه ميله إلى النيقية ، واحترامه وتبجيله لزعيمها وزعيم المصريين البطريرك أثناسيوس، وجدناه وقد اختار حكم الجزء الغربي من الإمبراطورية مبتعداً بنفسه عن الخلافات العقائدية الموجودة في الشرق منذ ما يقرب من أربعين عاما، تاركاً حكم الشرق –

---

[15] Zosimous, *New History*, IV, 96.

[16] Socrates, *Eccl. Hist*, III, 16, p. 86; Sozomen, *Eccl. Hist*, VI. 6, p. 350.

[17] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 1, 2, p. 597; Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 1, p.96.

[18] Zosimous, *New History*, IV, pp. 96-97.

[19] Theodret, *Ecclesiacal History*, tr. A. C. Zones, in N.P.F., 2nd ser, vol. 3, (Massachusetts, 1994), II, 9, p. 74.

ومصر تعد أهم ولاياته – إلى أخيه فالنز المعروف بميله للمذهب الأريوسي[٢٠] بل عرف كذلك عن فالنز كرهه وحقده على أثناسيوس لما يملكه الأخير من مكانة ليس بين المصريين فحسب، بل بين العالم المسيحي بأكمله، ولكراهية فالنز الشديدة للنيقية، وجدناه وقد فاجأ الجميع بإصداره مرسوماً بنفي أساقفة نيقية، وفي مقدمتهم أثناسيوس، وأعلن هذا القرار في الإسكندرية في ٥ مايو ٣٦٥م[٢١] لتشتعل الثورة في العاصمة المصرية، ويفيض أثناسيوس نفسه في وصف تلك الأحداث التي أعقبت تلاوة المرسوم الإمبراطوري على الشعب السكندري بقوله: "إن الوالي فلافيانوس Flavianus أدرك فشله في التصدي للأهالي، فآثر الانسحاب داخل مقره، واعداً إياهم بأنه سوف يرسل التماساً للإمبراطور لتعديل قراره، بينما ظل السكندريون ثائرين في كافة أنحاء المدينة، متمسكين بإيمانهم وبأسقفهم" [٢٢] لتثبت الأحداث بعد ذلك أن الإمبراطور فالنز لم يكن على صواب في اتخاذه هذا القرار فحسب، بل إن توقيت إصداره كان أشد فداحة من القرار نفسه.

تزامن مع ما سبق، محاولات قبائل الأليماني الجرمانية السيطرة علي غالة، وهو ما دفع الإمبراطور فالنتنيان إلى اتخاذ قراره بالتوجه إليهم للحد من أطماعهم[٢٣]، وزاد من صعوبة الأمر تجدد هجمات الفرس على الأملاك الشرقية للإمبراطورية، مما دفع الإمبراطور فالنز إلى الخروج بقواته نحو الشرق للتصدي لهم، وحسبما يروي المؤرخ سقراط أن فالنز جمع كل القوات من القسطنطينية، ولم يترك إلا حامية صغيرة، كذلك أرسل يستدعي بعض القوات من الولايات الشرقية[٢٤] وذلك في الوقت الذي كانت فيه القسطنطينية تعاني أشد المعاناة من تصرفات بترونيوس Petronius– والد ألبيادومنيكا Albiadomnica زوجة الإمبراطور فالنز– والمتولي الأمور في العاصمة بناءً على أوامر من فالنز، حيث كان جل اهتمامه جمع أكبر كمية من الأموال من أهالي القسطنطينية عن طريق فرض العديد من الضرائب عليهم، مستخدماً شتي وسائل العنف حتى بات الجميع يكره الإمبراطور فالنز لسماحه لبترونيوس بارتكاب تلك الأفعال[٢٥] وقد سمع بروكوبيوس بسخط أهالي القسطنطينية على فالنز، كذلك علم بتحرك كل من فالنتنيان تجاه الأليماني في الغرب، وفالنز نحو الفرس في الشرق، فكان بروكوبيوس كما يذكر المؤرخ أميانوس ماركيللينوس "يتلهف للتعجيل بتنفيذ أحلامه، بعد أن قدم له القدر هذه

[٢٠] رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢، ص ٣٦٢.

[21] Athanasius, *Hist. Aceph*, X, 15; Sozomen, *Eccl. Hist*, VI, 12, p. 353.

[22] Sozomen, *Eccl. Hist*, VI., 12, p. 354؛ Athanasius, *Hist. Aceph*, X, 15.

[23] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 5.9, p. 592.

[24] Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 3, P. 96.

[25] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6 .9, p. 603.

Cui in haec quae maturabat الفرص والأحداث في الوقت المناسب تماماً fors hanc materiaim dedit impendio tempestivam" [٢٦] ،ardenti

وبعد هذا الحشد من الأحداث، نتوقف قليلاً لنوضح الأسباب التي دفعت بروكوبيوس إلى إعلان ثورته، والاستيلاء على العرش وفي هذا التوقيت على وجه التحديد. في حقيقة الأمر، إضافة إلى ادعائه بأن الإمبراطور جوليان قد اختاره خليفة له على عرش الإمبراطورية، فإن هناك أسباب أخرى قد تكون أعطته الجرأة في اتخاذه هذا القرار والثقة في تحقيق النجاح، ألا وهي تزامن ذلك مع خروج كلّ من فالنتنيان وفالنز في حروب خارجية، وخلو العاصمة القسطنطينية من القوات اللازمة لحمايتها عقب خروج فالنز نحو محاربة الفرس، ثم كانت لتلك السلطات التي منحها فالنز لبترونيوس كي يفعل ما يشاء بأهالي القسطنطينية وتعامله بقسوة معهم، كان له الأثر الكبير في جعلهم على استعداد لتقبل أي وضع آخر بخلاف ما يعيشون فيه، وأيضا استمراراً لقرارات فالنز الخاطئة في هذا الوقت، واضطهاده للمصريين في عقيدتهم، وإعلانه عن ميوله الأريوسية، بل وقراره بعزل أثناسيوس من منصبه، وما أعقبه من اشتعال الثورة في الإسكندرية– المدينة ذات الثقل الاقتصادي والسياسي في الإمبراطورية– رفضاً لقرار فالنز، وكل ما سبق أعطى نجاحاً متوقعاً لثورة بروكوبيوس.

على أيّة حال، فإن بروكوبيوس عقب فراره من ملاحقة الإمبراطور فالنز له، نجح في الوصول إلى القسطنطينية ليلاً علي متن إحدى السفن التجارية متخفيا في زي أحد التجار، وذلك في أغسطس عام ٣٦٥م[٢٧] حيث اختبأ في منزل أحد أصدقائه القدامى ويدعي إيونوميوس Eunomius، والذي كان له دور كبير في مساندة بروكوبيوس كما أشار إلى ذلك المؤرخ ذو الميول الأريوسية فيلوستورجيوس(٣٦٤–٤٣٣م) Philostorgius الذي كان يمده بأخبار كل ما يحدث داخل المدينة وازدياد السخط المنتشر بين الأهالي ضد فالنز وتابعه بترونيوس، وحدث أن التقي بروكوبيوس بأحد أثرياء القسطنطينية وهو إيوجنيوس Eugenius، حيث تعهد الأخير برعاية بروكبيوس واقتناعه بدعاويه في أحقيته بالعرش، بل وإمداده بالمال اللازم لتحقيق ذلك، ومن ثم قام بروكوبيوس برشوة حامية القسطنطينية التي تركها فالنز عن طريق تزويدهم بالأموال للانسحاب من شوارع القسطنطينية ، وأيضا إرسال الأموال والسلاح للعامة والعبيد في

[26] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6.11, p. 604.

[27] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6 .12, p. 605; Zosimous, *New History*, IV, p. 95.

القسطنطينية لمساعدته في دخول المدينة [٢٨] وهو ما حدث بالفعل، في مساء يوم السابع والعشرين من سبتمبر٣٦٥م، عندما اقتحم بروكوبيوس ومن سانده من رجال القسطنطينية، لتنتشر الفوضى والارتباك في شوارع المدينة جراء المفاجأة في هذه الليلة، وهو ما اجمعت عليه العديد من المصادر مثل: أميانوس، وزوزيموس، وفيلوستورجيوس وسقراط [٢٩] في حين وجدنا المؤرخ ثيمستيوس(٣١٧-٣٩٠م) Themistios يذكر ما حدث بطريقة مختلفة، بقوله: "إنّ رجال بروكوبيوس أقاموا مذابح للأهالي، واقتحموا منازلهم وسرقوا محتوياتها، وامتلأت المدينة بجثث سكانها الأبرياء، فسيطر بروكوبيوس على المدينة على أشلاء سكانها" ، واعتمادا علي ما ذكره المؤرخ جون فاندرسبويل john Vanderspoel في دراسته عن ثيمستيوس "بأن ثيمستيوس كان معروفا عنه كرهه لبروكبيوس وتحيزه الواضح للإمبراطور فالنز"[٣٠]. نستطيع أن نلاحظ المبالغة الواضحة لدى ثيمستيوس في وصفه لما حدث في القسطنطينية تلك الليلة، لأنه كان من الثابت من الأحداث السابقة أن نجاح بروكوبيوس في ثورته، واستيلاءه على العرش يعتمد بصفة أساسية على مساندة سكان القسطنطينية له، بسبب كرههم لتصرفات فالنز وبترونيوس، لذلك لم يكن من الصواب أن يتصرف معهم بتلك القسوة التي وصفها ثيمستيوس.

ما إن أشرقت شمس الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٣٦٥م على سكان القسطنطينية، حتى شاهدوا بروكوبيوس يسير في شوارع المدينة وسط حراسة مشددة من قبل أنصاره، ومنهم أفراد من الحامية التي كان قد تركها إمبراطورهم فالنز، والذين أصبحوا الآن تابعين لبروكوبيوس،

---

[٢٨] يذكر فيلوستورجيوس على أن إيونوميوس كان أحد المقربين من الإمبراطور الراحل جوليان، لذلك كان من أكبر المساندين لبروكوبيوس في ثورته، انظر:

Philostorgius, *Church History*, 9.6; Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6.12, p. 604.

[29] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 12, p. 605; Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 3, P. 97; Zosimous, *New History*, IV, p. 96; Philostorgius, *Hist. eccl.*, 9.5.

[30] Themistios, *The Private Orations of Themistius*, Penella, Robert J., Trans, Annotated and Intro. By Published by University of California Press 2000, 7.86b, Cf. also: Vanderspoel, J., *Themistius and the Imperial Court* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1995), p. 159.

وقد تزود الجميع بالدروع والسيوف خوفاً على حياة سيدهم الجديد، حيث لم يكن من المؤكد حتى تلك اللحظة معرفة "من المؤيد له ومن المعارض nec resistebat populus nec faveba"[٣١]

وعلى عجل تم إقامة منصة خشبية عالية أمام مجلس السناتو ليلقي منه بروكوبيوس كلمته أمام الأهالي، وعلى الرغم من ذكر ذلك الحدث من قبل سقراط و ثيمستيوس وزوزيموس[٣٢] إلا أن أميانوس ماركيللينوس كان متفوقاً على الجميع في وصف هذا المشهد معتمداً على أحد شهود العيان الذي كان حاضراً في القسطنطينية آنذاك بقوله: "إن المشهد كان أشبه بمسرح، وقد ارتفع الستار وسط صمت رهيب من الحشد الموجود، وأثناء صعود بروكوبيوس للمنصة كان واضحاً منظر ارتجاف قدميه، وبدأ حديثه بصوت خافت قائلاً إنه نظراً لصلة القرابة بينه وبين عائلة الإمبراطور قنسطنطين العظيم، وخاصة الراحل جوليان، الذي عهد إليه بخلافته على العرش، وكذلك نتيجة للطغيان والظلم الذي مارسه فالنز ضد الشعب، وخاصة في القسطنطينية، فإن الكثير من الناس طالبوه بالحضور إلى القسطنطينية، وتولي المنصب الإمبراطوري، خاتماً حديثه قائلاً: إنه جاء لنصرة الفقراء في المدينة "واعداً إياهم بالثراء الواسع والاحترام، وسوف يحصد هؤلاء الثمرة الأولي أثناء حكمه.[٣٣]

وعند ذلك ارتفعت صيحات الجميع بحياة بروكوبيوس، ويتم تتويجه إمبراطوراً وسط هذا الحشد الجماهيري، ويتوجه مسرعاً إلى داخل مجلس السناتو، حيث استقبله قلة من أعضائه، وكان من الملاحظ على هؤلاء أنهم ليسوا من الأعضاء البارزين في المجلس، ثم أسرع بالتوجه إلى القصر الإمبراطوري ليتسلم مهام عمله [٣٤]، وحسبما يذكر أميانوس ماركيللينوس أن ما حدث في الإمبراطورية وبالتحديد في القسطنطينية "هو الأول من نوعه accidisse primitus arbitantes" [٣٥]

وإذا كانت المصادر قد اتفقت علي الإشارة إلى أن الأمور سارت إلى جانب بروكوبيوس بسبب المساندة القوية له من جانب العامة والفقراء والعبيد في القسطنطينية، فإن تلك الإشارة قد

---

[31] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 17, p. 606.

[32] Socrates, *Eccl. Hist*, IV.3, p. 97; Themistios, *The Private Orations*,7.86b; Zosimous, *New History*, IV, p.95.

[٣٣] للمزيد من التفاصيل. انظر:

Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 15-18, pp. 608-609.

[34] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 18. p.609.

[35] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 6, 19. p.611.

دفعت بالمؤرخ ثيمستيوس إلى وصف ما قام به بروكوبيوس على أنه " ثورة الرعاع والهمج"، وفي موضع آخر شبهها بثورة العبيد التي قادها سبارتاكوس Spartacus ضد الرومان في القرن الأول قبل الميلاد[٣٦] وفي حقيقة الأمر، فإن أحوال تلك الفئات في القسطنطينية زمن فالنز، كانت في غاية السوء، خاصة العبيد وهو ما أشارت إليه الدراسات الحديثة عن أوضاع العبيد في الإمبراطورية في تلك الفترة [٣٧]، وهو ما يعطي لثورة بروكوبيوس بعداً اجتماعياً لما كان يحدث في القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي.

انطلاقاً مما سبق، فما أن دخل القصر الإمبراطوري حتى أمر بإحضار فاوستينا Faustina– زوجة الإمبراطور الراحل قنسطنطيوس، وابنته الصغيرة، ليعلن أمام الجميع أن عائلة قنسطنطيوس اختارته إمبراطوراً لكونه الوريث الشرعي للأسرة الحاكمة[٣٨]، ثم قام بالقبض على سيساريوس Cesarius حاكم القسطنطينية، ونبريديوس Nebridius رئيس البلاط، وهم من المقربين من الإمبراطور فالنز، وأرغمهما على كتابة رسائل إلى الولاة في أرجاء الإمبراطورية تفيد بأنّ فالنز قد مات، وأن بروكوبيوس أصبح الآن إمبراطوراً وعلى الجميع طاعته[٣٩] كذلك قام بتعين فرونيميوس Phronimius حاكماً على القسطنطينية، وأوفراسيوس Euphrasius رئيساً للبلاط، وتبع ذلك إصداره قراراً بإلغاء ما قرره فالنز من ضرائب مؤخراً على السكان، والتي كانت من الأسباب المباشرة التي مهدت النجاح لبروكوبيوس في دخول العاصمة[٤٠]، وهكذا كانت هناك عدة أهداف لتلك القرارات التي أصدرها بروكبيوس منها: محاولة إضفاء شرعية علي حكمه باستخدام زوجة وابنة الإمبراطور الراحل قنسطنطيوس، وإلغاء الضرائب التي فرضها فالنز كانت لكسب أكبر قدر من الشعبية بين الأهالي ، ثم كانت لتلك الشائعة التي أطلقها والتي تفيد بوفاة فالنز محاولة منه في خفض الروح المعنوية لمؤيدي فالنز في كافة أنحاء الإمبراطورية.

والجدير بالذكر، أنه بالتزامن مع تلك الأحداث المتتابعة والمهمة في القسطنطينية استمرت حالة السخط العامة ضد الإمبراطور فالنز في الشرق، وخاصة في الإسكندرية، بسبب قراره بإبعاد أسقفهم أثناسيوس، بل وزاد من تدهور الأوضاع ذلك المرسوم الذي وصلهم من فالنز في الخامس من أكتوبر ٣٦٥م، والذي يأمر فيه الوالي فلافيانوس بإلقاء القبض على أثناسيوس.

---

[36] Themistios, *The Private*, 7.87 a, 91b; Cf. also: Vanderspoel, J., Themistios, p. 160.

[37] Kyle Harper, *Slavery in the Late Roman World AD 275-425*, (Cambridge University Press, 2011), p. 440.

[38] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 9, 3, p. 635.

[39] Zosimous, *New History*, IV, p. 97.

[40] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 7 .4, p. 615.

وعندما توجه القائد العسكري فيكتورينوس Victorinus ومعه قوة عسكرية للقبض على أثناسيوس في مقر إقامته بكنيسة ديونيسيوس Dionysius، علم أثناسيوس بذلك، ونجح بمساعدة رجال الدين في الهروب من الكنيسة قبل اقتحامها، ثم نجح بمساعدة السكندريين في الاختباء والإقامة بإحدى المنازل في أطراف المدينة، ليبدأ ما يعرف بالنفي الخامس والأخير في حياته [٤١]، وما أن انتشرت أخبار ما تعرض له أثناسيوس في الإسكندرية حتى اجتاحت الثورة البلاد، وفي ذلك يروي المؤرخ الكنسي سوزومين (٤٠٠-٤٤٣م) Sozomen بقوله :"بمجرد أن عرف الناس بمحاولة قوات فالنز القبض على أثناسيوس حتى ثاروا في الشوارع، ليس في الإسكندرية فقط، بل في كافة أنحاء مصر، وضمت الجموع كافة الطوائف، وقيل إن الرهبان هجروا أماكنهم وساندوا الناس في غضبهم، وأصبحت البلاد على وشك الانفجار جراء قرارات الإمبراطور"[٤٢]، وما حدث يدفعنا إلى التساؤل حول كيفية إصدار الإمبراطور فالنز قراره بالقبض على أثناسيوس وهو يدرك أن ذلك سوف يشعل الموقف ضده في مصر، في الوقت الذي يمر فيه بفترة عصيبة تكاد تطيح به من على عرش الإمبراطورية ؟

في حقيقة الأمر أن فالنز قد أراد بقراره هذا في مرسومه الذي أعلن في الخامس من أكتوبر إبعاد أثناسيوس عن مصر، وهو نفس توقيت إرسال شحنة القمح السنوية إلى القسطنطينية، ومن ثم كان فالنز يتخوف من قيام المصريين بنهب مخازن القمح، أو تعطيل إرسال الشحنة بتحريض من أسقفهم أثناسيوس، مثلما أشيع أنه حدث قبيل ما يقرب من ثلاثين عاما[٤٣] لذلك من المرجح أن فالنز قد أصدر قراره بالقبض على أثناسيوس قبيل إذاعة مرسومه في الإسكندرية بفترة ، وبالتحديد قبل استيلاء بروكوبيوس على السلطة في العاصمة في الثامن والعشرين من سبتمبر ، وأن مرسوم فالنز وصل للعاصمة المصرية في أوائل أكتوبر، ولم يكن الوالي على علم بما حدث في القسطنطينية ، وهكذا لا يزال الحظ يقف مسانداً لبروكوبيوس في ثورته ، في ظل التفاف المصريين حول أسقفهم وأبيهم الروحي ضد بطش الإمبراطور فالنز.

---

41 Sozomen, *Eccl. Hist*, VI., 12; Athanasius, *Hist. Aceph*, X.15, p. 1222.

في حين ذكر المؤرخ سقراط أن أثناسيوس اختبأ في مقابر عائلته. انظر:

Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 3, p.97.

42 Sozomen, *Eccl.Hist*, VI, 12, p. 354.

[٤٣] في المجمع الديني الذي عقد في مدينة صور عام ٣٣٥م، اتهم الإمبراطور قنسطنطين الكبير أثناسيوس بعدم تنفيذ أوامره، وتهمة عرقلة إرسال قمح مصر إلى القسطنطينية، ليصدر المجمع قراراً بإدانة أثناسيوس وعزله من منصبه مع حرمانه من الإقامة في الإسكندرية، ويتم نفي أثناسيوس إلى بلاد غالة، فيما يعرف بالنفي الأول لأثناسيوس، انظر:

Socrates, *Eccl. Hist*, 1, 27-28, pp. 29-30; Sozomen, *Eccl. Hist*, III, 2, p. 283; Philostorgius, *Church History*, 2. 11.

وفي ذلك الوقت، وفي أثناء اتجاه فالنز بقواته نحو الفرس، وبالقرب من مدينة أنطاكية، تزامن أن وصل إليه هارباً من القسطنطينية أحد رجاله، وهو سوفرونيوس Sophronius، حيث أبلغه باستيلاء بروكوبيوس على العرش في القسطنطينية، وتنصيب نفسه إمبراطوراً، وقد أصيب فالنز بالصدمة جراء ما حدث.[٤٤] وينفرد أميانوس ماركيللينوس بالقول إن فالنز أعلن أمام قادة الجيش بأنه قرر ترك المنصب الإمبراطوري بعد أن أصبح عبئاً ثقيلاً لا يمكن تحمله في مثل تلك الظروف، لكنه قوبل بمعارضة شديدة من جانب أتباعه، ليقرر التراجع عن تلك الفكرة، وطالب الجميع بالاستعداد للحرب ضد من وصفهم بالمتآمرين وعلى رأسهم بروكوبيوس.[٤٥]

بعد ذلك بأيام قليلة وفي الأول من نوفمبر وصلت أخبار ما قام به بروكوبيوس إلى فالنتيان إمبراطور الغرب، متضمنة إشاعة مقتل أخيه فالنز، ونظرا لانشغاله بالتوجه لبلاد الغال لمحاربة قبائل الأليماني، أصبح في حيرة من أمره " لأنه لم يكن يعلم على وجه اليقين هل فالنز مات أم على قيد الحياة؟ لأنه لو كان مات فإن ذلك – من وجهة نظره–يجعل بروكوبيوس مطمئناً على العرش.[٤٦]

وعندما فكر فالنتيان في العودة والتوجه نحو الشرق لمحاربة بروكوبيوس، توسل إليه المقربون منه أن يستكمل طريقه نحو مهاجمة الأليماني، خاصة بعد أن وصلته الأخبار بأن أخاه فالنز لا يزال على قيد الحياة. وعند ذلك صرح فالنتيان مبرراً قراره قائلا:" إن بروكوبيوس يعد عدوه وعدو أخيه فالنز فقط أما الأليماني فهم أعداء العالم الروماني بأكمله، لذلك فإنه قرر حماية بلاد غالة hostem sum fratrisque solius esse Procopium Alamannos vero totius orbis Romani، statuitque nusquam interim exerim، extra confinina moveri Gallorum"[٤٧]

وهكذا كان على فالنز أن يتحمل عبء مواجهة بروكوبيوس بمفرده، في ظل أحوال سيئة يعيش فيها، بعد أن فقد عرشه وعاصمة إمبراطوريته، وباتت ولايات الإمبراطورية في مهب الريح، خاصة مصر بسبب تصرفاته غير الحكيمة تجاه أهلها.

وفي الوقت نفسه، استمر بروكوبيوس في توطيد حكمه في القسطنطينية، فأخذ يتقرب من العائلات الكبيرة في العاصمة، وأرسل إلى أثاناريك Athanaric ملك القوط، يطلب منه التحالف العسكري، مبدياً رغبته في عقد صداقة بينهما، ووجدناه وقد أصدر عملة ذهبية عليها

[44] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 7. , XXVI, 7, 2, p.613.
[45] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 7. 13, p. 619.
[46] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 5. 9, p. 596.
[47] Ammianus Marcellinus, Res Gesta, XXVI, 5. 13, p. 596.

صورته، وأرسلها مع بعض من أنصاره إلى عدة مناطق من بينها بلاد الغال، في محاولة وصفها أميانوس ماركيلليوس بإضفاء الشرعية على حكمه.[٤٨]

أما في مصر، فقد كانت الثورة ما تزال مستمرة، وزاد من حدتها، ما قيل عن حضور أشخاص من قبل بروكوبيوس يحثون المصريين على الاستمرار في ثورتهم ضد فالنز، قائلين بأن بروكوبيوس هو الإمبراطور الآن، وقد صدرت عملة له، وأنه في طريقه إليهم، ليخلصهم من بطش أتباع فالنز، وكما يذكر أميانوس ماركلينيوس "أعلن وبطريقة كاذبة أن فالنز قد مات، وأن الطريق صار مفتوحاً للإمبراطور الجديد المحبوب Se veniss et valente obisse fingentes، cuncta pater novo et favorabili principi memoraban"، وكان من الملاحظ آنذاك اشتراك القلة الوثنية في مصر في التظاهر مع باقي المصريين ضد فالنز[٤٩]، وربما يكون ذلك محاولة منهم في إثبات وجودهم في المجتمع المصري، وهم الذين لم تسعفهم فترة حكم الإمبراطور جوليان – الذي حاول إعادة الوثنية من جديد– وهي الفترة التي لم تتجاوز العامين على استرجاع امتيازاتهم القديمة في البلاد، وبمجرد أن سمعوا أن الإمبراطور المنافس لفالنز وهو بروكوبيوس هو أحد أقرباء الراحل جوليان، تشجعوا، خاصة وأن المصادر لم تشر إلى عقيدة بروكوبيوس أو ميوله الدينية، ومن ثم قد يفاجيء الجميع وتكون الوثنية هي وجهته كقريبه جوليان.

أخيرا أدرك فالنز ضرورة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، خاصة بعد أن تيقن أن مصر وما لها من مكانة باتت في طريقها للخروج عن سيطرته بسبب الثورة المشتعلة في كافة أرجائها، وإشاعة نية بروكوبيوس المجيء إلى مصر للاستيلاء عليها وسط ترحيب متوقع من أهلها، فوجدنا فالنز يرسل قوات إلى مصر، وكان السبب حسبما يذكر أميانوس ماركيلليوس"خوفا من غزو مفاجئ"، وهو ما جعل أميانوس يوجه اللوم لبروكوبيوس متهماً إياه بالخطأ العسكري بعدم المباغتة بمهاجمة مصر والاستيلاء عليها قائلا: كان يستطيع غزوها دون مقاومة كبيرة، لأنها كانت متلهفة للتغيير بسبب كره أهلها للحكم القاسي من قبل فالنز.[٥٠]

---

[٤٨] أشار أميانوس ماركيلليوس الى أن القائد العسكرى الموالى لفالنز ويدعى أيكويتيوس Aequitius أستطاع القبض على أنصار بروكوبيوس وقام بقتلهم. انظر:

Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 7.11, p. 619.

[49]Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 8. 14, p. 632.

[50]Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 8. 15, p. 633.

فاجأ فالنز الجميع وأصدر مرسوماً في أواخر يناير ٣٦٦م يقضي بالعفو عن أثناسيوس وعودته إلى أسقفيته في الإسكندرية ووقف أي مظاهر اضطهاد للمصريين. ومع بزوغ شمس الأول من فبراير تلا براسيداس Brasidas –أحد موظفي فالنز–مرسوم الإمبراطور على أهالي الإسكندرية، مضيفا أن الإمبراطور فالنز أمره بأن يكون في استقبال أثناسيوس، وحراسته بنفسه حتى دخوله لمقر أسقفيته، وهو ما حدث بالفعل ليعود الهدوء ليس إلى الإسكندرية فحسب، بل إلى كافة أرجاء مصر.[٥١]

لاشك أن قرار الإمبراطور فالنز يستحق الدراسة والتحليل، فمثلاً نجد فيلوستورجيوس يري أن فالنز أدرك أنه على وشك أن يفقد مصر[٥٢] كذلك يقول سقراط :" إن فالنز قرر ذلك مخافة أن تتعرض أمور الدولة العامة للأخطار على يد أهالي الإسكندرية، وهم المعروف عنهم أنهم سريعو الغضب، ويميلون للعصيان والتمرد"[٥٣]، بينما يؤكد سوزمين الفكرة نفسها مضيفاً سبباً آخر بقوله : "إن قرار فالنز بعودة أثناسيوس ووقف الاضطهاد لأمر مثير للجدل، إذ كان يدرك أن شريكه فالنتيان يميل للنيقية، وقد يستاء مما يحدث له على يد فالنز، ولكنه فعل ذلك بسبب إدراكه مكانة أثناسيوس لدى الناس، وخشيته من ازدياد الثورة والاضطرابات على يد المتعلقين بالأسقف السكندري، وهو ما قد يؤدي في النهاية إلى الإضرار بالشئون العامة للإمبراطورية".[٥٤] ولا شك أن المؤرخ الكنسي سوزمين قد جانبه الصواب في جعل خوف فالنز من رد فعل أخيه فالنتيان لتصرفاته مع أثناسيوس، إذ قد يكون سوزمين متأثراً بما حدث من قبل قبيل ما يقرب من العشرين عاماً، وبالتحديد عام ٣٤٦م عندما أقدم الإمبراطور الراحل قنسطنطيوس على تهدئة الأمور مع أثناسيوس خوفاً من غضب أخيه قنسطانز[٥٥]، وأيضاً إذ افترضنا صحة ما ذهب إليه

---

[51]Athanasius, *Hist. Aceph*, XI, 16. cf. also: Rochelle Snee, "*Valens' Recall of the Nicene Exiles and Anti-Arian Propaganda*, p413.

ايضا: متى المسكين: القديس أثناسيوس الرسولي" سيرته، دفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين، لاهوته"، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٣٦٤.

[52] Philostorgius, *Church History*, 9.6.

[53] Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 13, p. 103.

[54]Sozomen, *Eccl. Hist*, VI. 12, p. 354.

[٥٥] حدث صراع بين الأخوين قنسطانز وقنسطنطين الثاني وانتهى بمقتل الأخير، وأصبح قنسطانز إمبراطوراً على ممتلكات أخيه الراحل، وبالتالي على النصف الغربي من الإمبراطورية، وورث من أخيه أيضا ميله وتعاطفه مع أثناسيوس، فاستضافه في مدينة أكويليا، كذلك أمر بعقد مجمع ديني في مدينة ساردیكا في عام٣٤٣م، وانتهى بتبرئة أثناسيوس، وراسل قنسطانز أخيه قنسطنطيوس طالبا منه إعادة أثناسيوس إلى منصبه، بل وهدده بالصدام معه في حالة رفضه لهذا الطلب، وهو ما أدى إلى موافقة قنسطنطيوس على ذلك مكرها، وهو المعروف بميوله للأريوسية، ليزداد كرهه لأثناسيوس، للمزيد من التفاصيل انظر:

سوزمين عن خوف فالنز من غضب أخيه فالنتيان، فلماذا انتظر فالنز ما يقرب من ثمانية شهور ليعفو عن أثناسيوس؟

استكمالا لما سبق، كان من الملاحظ أن مرسوم العفو الذي أصدره فالنز قد وجه إلي أثناسيوس دون غيره من أساقفة نيقية الآخرين في الشرق، وهو ما علق عليه المؤرخ سوزمين بقوله: "من المؤكد أن الأسباب السابقة هي التي جعلت الإمبراطور فالنز يعيد أثناسيوس إلي أسقفيته، في الوقت الذي ظل فيه باقي أساقفة نيقية في صراع مرير من جانب الإمبراطور، وبذلك تم استثناء مصر من الاضطهاد"[٥٦]، ومن ثم كان لثورة بروكوبيوس أثرٌ مباشرٌ في مصر، بعد أن أدرك فالنز أن مصر أوشكت على الخروج عن طاعته، وقد تتقبل بروكوبيو–الإمبراطور المنافس– في أي وقت، ولم يكن بالطبع ليغامر بالتوجه إليها بنفسه لحمايتها من بروكوبيوس في ظل تلك الظروف التي يمر بها، لذلك اكتفى أولا بإرسال قوة عسكرية إليها، ولكن عندما أيقن أن المصريين باتوا يضمرون له الكثير من الكراهية بسبب إعلانه صراحة عن ميله للأريوسية، وكذلك لتصرفاته تجاه أسقفهم وأبيهم الروحي، لكل ذلك اضطر الإمبراطور فالنز أن يحني رأسه أمام المصريين وأسقفهم أثناسيوس خوفاً من انضمام مصر وما تمثله من مكانة في العالم إلى غريمه وعدوه بروكوبيوس.

ولكن بروكوبيوس كان قد قرر الخروج من القسطنطينية للسيطرة على باقي ولايات الإمبراطورية في الشرق، فوجدناه وقد استولي على تراقيا Thrace[٥٧]، وذلك عن طريق استخدام الحيلة والغدر بأسر حاكمها جوليوس Julius [٥٨]، وحدث وأن وصلته قوات عسكرية من جانب قبيلة القوط الجرمانية، وفي ذلك يقول المؤرخ زوزيموس: "تدفقت على بروكوبيوس العديد من القوات القادمة من الأمم البربرية، بسبب أنهم عرفوا أنه قريب من جوليان، وكان مصاحباً له في حروبه، وبالتالي هو قائد ماهر، وبلغ عدد من انضم له ما يقرب من عشرة آلاف رجل"[٥٩]، ولاشك أن القوط أسرعوا إلى مساندة بروكوبيوس رغبة منهم في ازدياد الشقاق بين ربوع الإمبراطورية في الشرق، بينما كانت القبائل الأخرى مثل الأليماني تنشر الفوضى في الغرب، وهو ما يمكنها من النجاح في بسط نفوذها بعد ذلك، كذلك وحسبما يشير زوزيموس أنهم أقبلوا

Socrates, *Eccl. Hist*, II, 15-18, pp.42-43; Theodret, *Eccl. Hist*, II, 9, p. 74 ;Sozomen, *Eccl. Hist*, III., 24, p. 300.

[56] Sozomen, *Eccl. Hist*, VI. 12, pp. 354-355.

[٥٧] تراقيا هو إقليم شاسع يقع جنوب نهر الدانوب، وغرب البحر الأسود، وشرق مقدونيا، وشمال بحر إيجة، انظر: Mathew Bunson, *A Dictionary of Roman Empire*, (Oxford, 1995), p. 414.

[58]Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 7, 5, p. 615.

[59]Zosimous, *New History*, IV, p.98.

على بروكوبيوس بسبب إدراكهم لمكانته العسكرية، وهو ما يعني أنهم أدركوا أنه الطرف الرابح في صراعه مع فالنز.

بطبيعة الحال، قرر بروكوبيوس استغلال الإمدادات السابقة على أفضل وجه، فوجدنا قائده روميتالكا Rumitalca ينجح في الاستيلاء علي مدينة نيكايا Nicaea، بعد أن أقام مذبحة لحاميتها الموالية لفالنز[٦٠] ثم نجح بروكبيوس في اقتحام خلقدونية Chalcedon، وسط تراجع واضح من فالنز وقواته الذين فضلوا الانسحاب عن مواجهة بروكوبيوس، ومع اندفاع بروكوبيوس وقواته استولى على مدينة سيزيكوس Cyzicus واستطاع قائده ماركيللوس Marcellus أسر سيرنانوسSerenianus أحد أبرز قادة فالنز في ذلك الوقت، وكان يصاحب بروكوبيوس وقواته في أثناء تلك المعارك الابنة الصغيرة للإمبراطور الراحل قنسطنطيوس، ووالدتها فاوستينا، من أجل زيادة حماسة جنود بروكوبيوس، وجعلهم يشعرون أنهم يدافعون عن الأسرة الإمبراطورية، كما ذكر أميانوس ماركلينيوس[٦١] ، ومن ثم كان من المرجح أن بروكوبيوس أراد بتواجد زوجة وابنة قنسطنطيوس مصاحبين لقواته، فرض شرعية لحكمه على أي أراضي ومدن يستولي عليها في أثناء تقدمه.

وفي محاولة يائسة، قرر فالنز تنظيم ما تبقى من قواته، وإسناد قيادتها لقادة أكثر مهارة عسكرية، فاستعان بأربتيو Arbitio، وهو قائد عسكري سابق عرف عنه الدهاء، والخبرة العسكرية، وعلق أميانوس ماركيللينوس على أسباب استدعاء فالنز لأربتيو بقوله: "لعله ينجح في التصدي للأعمال الوحشية التي يقوم بها الثوار Verecundia truces animi lenirentur"، وعند ذلك وجدنا أربتيو يستخدم الإغراء المادي لجذب القادة البارزين في قوات بروكوبيوس قائلا لهم:" اهجروا مغتصب العرش، وأنكم أبنائي الذين حاربتم معي من قبل، في العديد من المعارك".[٦٢]

عندما التقي المتصارعان على العرش فالنز و بروكوبيوس وجها لوجه في معركة حاسمة عند ناقوليا Nacolia في فريجيا Phrygia كان واضحاً أن إغراءات أربتيو لقادة بروكوبيوس، قد أتت ثمارها، فوجدنا جوموريوس Gomorius وأجيلو Agilo أهم قائدين في قوات بروكوبيوس يأمران جنودهم في أثناء القتال بالانضمام لقوات فالنز واصفين إياه بأنه الإمبراطور

[60] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 8, 3, p. 625.
[61] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 8. 4-5, p. 625.
[62] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 9, 5, p. 635

الشرعي، بينما بروكوبيوس مغتصب للعرش، وغير جدير باللقب الإمبراطوري، وهو الأمر الذي لم يكن متوقعاً،"بعد أن أصبح بروكوبيوس وحيداً لا يشعر بالأمان

Hoc praeter spem omnium viso salutis interluso suffragio[٦٣]،Procopius

وينتصر فالنز في المعركة[٦٤]، وإزاء ذلك اضطر بروكوبيوس إلى الفرار من المعركة، والاختباء في الجبال المحيطة، يرافقه اثنان من قواده وهم فلورنتيوس Florentius وبارشالبا Barchalba، اللذان ما لبثا أن خاناه وقاما بتسليمه إلى فالنز، وذلك في السادس والعشرين من مايو عام ٣٦٦م[٦٥]، وعلى الفور قرر الإمبراطور فالنز قتل بروكوبيوس، مستخدما في ذلك طريقة بشعة وصفها مؤرخا الكنيسة سقراط وسوزمين بقولهما:" تم اختيار شجرتين متجاورتين، وتم ثنيهما لأسفل، ثم قام الجنود بربط إحدى قدمي بروكوبيوس في شجرة، والأخرى في الشجرة الثانية، ثم تركت الشجرتان لكي يستعيدان وضعهما الأول الطبيعي، وبارتفاعهما انفصل بروكوبيوس إلى جزأين، ولاقى مرافقاه اللذان خاناه المصير نفسه، وتم ذلك في ٢٧ سبتمبر ٣٦٦م.[٦٦]

وقد أثارت ملابسات هزيمة بروكوبيوس وأسره ثم قتله على يد فالنز العديد من نقاط الالتباس بين المصادر، فبينما يذكر المؤرخ الوثني زوزيموس أن من خانا بروكوبيوس في المعركة هم جوموريوس ونابلو، وجدنا كافة المصادر تتفق على أنهما جوموريوس وأجيلو، وأنهما هما نفس القائدين اللذان سلما بروكوبيوس لفالنز بعد المعركة[٦٧]. ولما كان المؤرخ أميانوس ماركلينيوس – وهو المعاصر للحدث – كان أكثر تفصيلاً لما حدث في المعركة وبعدها، فهو يتفق مع المصادر السابقة في أن كلاً من جوموريوس وأجيلو هما من خانا قائدهما في القتال، بينما انفرد بالإشارة إلى أن فلورنتيوس و بارشالبا هما من كانا يصاحبان بروكوبيوس في مخبئه

---

[63] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 9, 8, p. 636.

[٦٤] جانب الصواب ما ذكرته حولية باسكال Chronicon Paschale من أن فالنتيان هو الذي انتصر على بروكوبيوس في معركة ناقوليا، إذ كان من الثابت أن فالنتيان كان منشغلا بمحاربة الأليماني في الغرب الأوربي في ذالك الوقت، انظر:

Chronicon Paschale, 284 – 628 AD, tr. Michael Whitby and Mary Whitby, Translated Texts for Historians, Vol 7, (Liverpool, 1989), P.46.

[65] Ammianus Marcellinus, *ResGesta*,XXVI,9,9,p.639; Zosimous *New History*,p.96

[66] Sozomen, *Eccl. Hist*, VI, 8, p. 351; Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 5, p. 97; Zosimous, *New History*, IV, p. 97.

[67] Sozomen, *Eccl. Hist*, VI, 8, p. 351; Zosimous, *New History*, IV, p. 98; Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 5, pp. 97-98; Zonars, *The History of Zonars*, From Alexander Severus to the death of Theodosius the Great, Trans, by Thomas M. Banchich and Eugene N. Lane, (London, 2009), p. 144.

بالجبال، وأنهما قيدا بروكوبيوس في أثناء نومه، ثم سلماه لفالنز، مشيراً أنه كان يعرفهما كقادة عسكريين منذ زمن الإمبراطور قنسطنطيوس، مضيفا أنهم "لم تكن الخيانة من صفاتهما، ولكنهما اضطرا إلى ذلك ncessitas in crumen traxerat"،non voluntas[٦٨] ،هذا وقد تعجب المؤرخان أميانوس وسقراط من قيام فالنز بقتل الرجلين اللذين قاما بتسليمه بروكوبيوس، على الرغم من أنه تعهد لهما بالمحافظة على حياتهما.[٦٩]

وما لبثت أن توالت نتائج ثورة بروكوبيوس، حينما قرر القوط استغلال انشغال فالنز بترتيب الأحوال في القسطنطينية عقب عودته إليها، وقرروا مهاجمة الأملاك الإمبراطورية، ليضطر فالنز إلى الخروج بقواته، ويشتبك معهم في عدة معارك في صيف عام ٣٦٧م، وهو ما استغله الفرس كذلك مما اضطر فالنز إلى التوجه إليهم مرة أخرى تعويضاً عن انسحابه السابق أمامهم للتفرغ لثورة بروكوبيوس.[٧٠] وعقب عودته للقسطنطينية، تفرغ فالنز فترة طويلة للتخلص من أتباع بروكوبيوس وأنصاره، وتعامل معهم بوحشية بتطبيق حكم الإعدام عليهم.[٧١]

أما بالنسبة لمصر فقد حدث ما كان متوقعاً من إمبراطور تقرب إلى شعبها ليس حباً لهم، ولكن خوفاً على عرشه ومنصبه، فوجدناه وقد عاد لمحاولة مضايقة المصريين وأسقفهم أثناسيوس، بتأكيده على تمسكه بالأريوسية وكرهه للنيقية، فلم يمض سوى عام واحد على تخلصه من بروكوبيوس، إلا وقد وجدناه يستقبل بحفاوة في قصره، لوكيوس Lucius –أحد زعماء الأريوسية – حيث حصل منه هذا الأخير على مرسوم بتوليه بطريركية الإسكندرية، وطرد أثناسيوس منها، وبالفعل وصل لوكيوس إلى الإسكندرية في محاولة منه لانتزاع منصب البطريرك من أثناسيوس، وذلك في الرابع والعشرين من سبتمبر عام ٣٦٧م، ولكن ما أن انتشر خبر قدومه في المدينة، حتى انتشر السكندريون في الشوارع معلنين رفضهم لهذا القرار، ومتمسكين بأثناسيوس، وعندما شرعوا في الفتك بلوكيوس، استطاع جنود الإمبراطور تخليصه من أيديهم بصعوبة، ليختار لوكيوس النجاة بحياته، ويهرب على ظهر إحدى السفن في اليوم التالي لقدومه، ليظل أثناسيوس على كرسي بطريركية الاسكندرية حتى وفاته في عام ٣٧٣م[٧٢]

---

[68] Ammianus Marcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 9, 8, p. 637.

[69] AmmianusMarcellinus, *Res Gesta*, XXVI, 9, 10, p. 639; Socrates, *Eccl. Hist*, IV, 5, p. 97.

[70]Michael Kulikowsik, *Rome's Gothic Wars*, (Cambridge, 2007), p. 116.

[71] Zosimous, *New History*, p. 98.

[٧٢] يذكر أن لوكيوس عندما وصل الإسكندرية في الرابع والعشرين من سبتمبر عام ٣٦٧م توجه مباشرة إلى منزل أمه التي كانت لا تزال على قيد الحياة، وحينما انتشر خبر قدومه حاصره السكندريون في هذا المنزل، ولم يستطع

وعلي الرغم من تقليل ريموند فان من شأن ثورة بروكوبيوس[٧٣]، فإنها وأحداثها تظل من أهم الأحداث التاريخية التي جرت في القرن الرابع الميلادي.

العملة الذهبية التي أصدرها بروكوبيوس عقب الاستيلاء على القسطنطينية وتنصيبه إمبراطوراً، علي وجهها الأول صورة بروكوبيوس وقد كتب تم إصدارها في عهد بروكوبيوس، أما الوجه الآخر فقد كتب عليه بيوس أوغسطس "الماسة ذات الشكل الوردي". نقلا عن:

An Important Series of Late Roman and Byzantine Coins, Zuirch, 2013, p. 17.

الخروج من هذا المنزل إلا بصعوبة بعد قدوم نائب الإمبراطور، الذي جعل الجنود يحملون لوكيوس وسط محاولات من الأهالي للفتك به، وظل تحت الحراسة، إلى أن هرب خارج البلاد في اليوم التالي. انظر:

Theodoret, *Eccl. Hist*, IV, 18, p. 121.

راجع ايضا: بتشر: تاريخ الأمة القبطية، ٤ أجزاء، تعريب: اسكندر تادرس، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٠٠-١٩٠٧م، ج٢، ص ٢٧٠.

[73]Raymond Van, *The Roman Revolution*, P. 208.

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في هوامش البحث

-Eccl.Hist: Ecclesiastical History

-N.P.N.F: Nice and Post-Ncene Fathers (Massachusetts, 1994).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

-Ammianus Marcellinus, Res Gesta, ed. and trans. J. C. Rolfe ,3vols , (London, 1935-39).

-Athanasius, Historia. Aceph, in N.P.N.F., 2nd ser, vol.4, PP. 1213-1225.

-Chronicon Paschale, 284 – 628 AD, tr. Michael Whitby and Mary Whitby, Translated Texts for Historians, Vol 7, (Liverpool, 1989).

–Philostorgius, Church History, Translated by Philip R. Amidon. Atlanta: Society of Biblical Literature, 2007.

-Socrates, Ecclesiastical History, Revised, with Notes, by A. C. Zenos, in N.P.N.F., 2nd ser , vol. 2, (Massachusetts, 1994).

-Sozomen, Ecclesiacal History, tr.Cherster D. Hartrantft, in N.P.N.F., 2nd ser, vol.2 (Massachusetts , 1994).

- Themistios, The Private Orations of Themistius, Annotated and Intro. by Penella, Robert J., trans, Published by University of California Press 2000.

- Theodret, Ecclesiacal History, trans. A. C. Zenos, in N.P.N.F., 2 nd ser, vol.3, (Massachusetts, 1994).

-Wright , W. C, (trans.) The Works of the Emperor Julian , 3vols, (London, 1923).

-Zonars, The History of Zonars, From Alexander Severus to the death of Theodosius the Great, Trans, byThomas M. Banchich andEugene N. Lane , (London, 2009).

- Zosimous, New History, tr.by Green and Chaplin , (London, 1814)

ثانياً: المراجع الأجنبية:

-Kyle Harper, Slavery in the Late Roman World AD275-425 , (Cambridge University Press , 2011).

-MathewBunson, A Dictionary of Roman Empire, (Oxford, 1995).
- Michael Kulikowsik, Rome's Gothic Wars, (Cambridge.2007).

-Noel Lenski, Failure of Empire. Valens and the Roman State in the Fourth Century A.D. (London 2002).

-Raymond Van, The Roman Revolution of Constantine, (Cambridge University Press, 2007).
- Rochelle Snee, "Valens' Recall of the Nicene Exiles and Anti-Arian Propaganda", *Greek, Roman and Byzantine Studies* 26.4 (1985) pp. 395 – 419

ثالثا: المراجع العربية والمعربة

-بتشر: تاريخ الأمة القبطية، ٤ مجلدات، تعريب: اسكندر تادرس، مطبعة الفجالة، القاهرة ١٩٠٠ – ١٩٠٧ م.

-متى المسكين، القديس أثناسيوس الرسولي" سيرته، دفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين، لاهوته "القاهرة ١٩٩٨م.

-رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة "قيصر والمسيح"، ج٢، دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٩م.

- -------: مصرع جوليان، الفيلسوف الإمبراطور، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، المجلد الرابع ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص ١٣-٥٠.

-صلاح محمد ضبيع، حملة الإمبراطور جوليان على بلاد فارس عام ٣٦٣م، مجلة كلية الاداب-جامعة حلوان، العدد ١٣-١٤،٢٠٠٣م، ص ٦٨١ -٠٧٣٦